مشهد السماء

يا لها من محجة بيضاء في حمى اللانهاية السوداء
سدمٌ هذه المجرة تنأى وشموس جلّت عن الاحصاء
شبه وادٍ ثرى على ضفتيهِ كركام نرائدَ الحصباء
هي سيل من الهيولى طفت فيهِ نجوم كثيرة كالغثاء
زبد في نهر جرى من اثير وفقاقيع منهُ في دأماء
تتجاق مدفوعة ولكلٍّ فلك في اعماق هذا الفضاء
لم تجد في اندفاعها قيد شبر عن سبيل لها هناك سواء
ما رأت في البصير عيني اهتداء كاهتداء الطبيعة العمياء
انها قد تحركت في جنانين هما قد تقابلا في السماء
ما اختلاف هناك في السير الاّ لاختلاف في وجهة الانواء
اكرٌ قد تدحرجت منذ كانت واستمرّت من غير ما ابطاء
ولكلٍّ توابع انا استبعد حرمانها من الاحياء
قال لي العقل ما تحرك هذا الكون الاّ بدافع الكهرباء
هي نفس النجوم ليست سواها وهي ما في النجوم من اضواء
الهيولى هي الاثير تردّى صوراً ثم شق جيب الرداء
منك يا ايها الاثير بدا الكون وفيهِ الوجود للاشياء
انت سرّ المكان والكون والدهر وسرّ الحياة في الغبراء
انت شيء وغير شيء وكافي كل شيء يا حيرة الحكماء

كم نجوم يخفين بعد ظهور ونجوم يظهرن بعد خفاء
يوصل النور بعضهن بالف من سنينا الى عيون الرائي
من نجوم حمر وصفر وزرق ونجوم خلافها بيضاء
ان منها ما كان فرداً ومنها ذا بناء مثنى وفوق الثنائي
لست ادري وليتني كنت ادري في خلاء تطوافها ام ملاء
عندهن القوى العديدة لكن لم يجئن منهنّ غير الضياء

ان هذا الوجود سرّ تفشى في سماء وسيعة الارجاء
وكأن النجوم فيها قلوب خفقت في جوانب الظلماء
واذا الشمس والكواكب جمعا ء زوت نورها فيا للسماء
ولعلّ الحكيم يقرأ فيها عن مراد الحقيقة الخرساء
كلمات وقد تكون رموزا كتبت في صحيفة زرقاء
اعين الجاهلين منها تساءت لا تراها كأعين العلماء

قد حلقنا طيف النجوم على بعد بعيد بآلة صماء
فعرفنا مقوّمات الثريا وعلمنا عناصر الجوزاء
انما النور حين يقدم منها حامل جلّة من الانباء
وحدة في الوجود بالرغم عما وضعوهُ من كثرة الاسماء
ليس للعالم الذي نحن نحيا ضمنهُ من بداية وانتهاء
ظنهُ الناس للفناء وانّي مع عجزي حسبتهُ للبقاء
ليس يبقى فيما علمت من الاشياء الاّ ظواهر الاشياء
ربما تظهر الحقيقة بيضا ء لنا من تصادم الآراء
ايها الجهر بالحقائق منّي انت دائي وقد تكون دوائي
لست ادري وقد وقفت مكاني أ امامي سعادتي ام ورائي

هذه الارض ذرّة قد توارت عن عيون النجوم في تيهاء
هي احدى توابع الشمس تجري حولها كالفراشة العشواء
ولها حول نفسها دوران هو داعي صباحها والمساء
دورتان الاولى على النفس والاخرى على الشمس في زمان سواء
ان ارضا تمشي عليها وئيدا كُرةٌ قد تدحرجت في السماء
ايها العقل ايّ بدع تراهُ ان جرت في الفضاء بنت الفضاء
جوفها في نار تنزّ من الحمى ازيزاً وسطحها في ماء
وعلى الارض دار في كل شهر قرٌ ذو وجاهة وبهاء
كل ضوء يريكه في صفاح فمن الشمس مصدر الاضواء

نصفهُ يستتر منها ونصف منهُ باقٍ في ليلة ليلاء
دل ان ليس كائناً فيهِ ماء ما ترى في سمائهِ من صفاء
لا كسوف ولا خسوف اذا لم يقع النيران في الاضياء

انما هذه التوابع يجرين دراكاً في الجوّ حول ذكاء
اخبروا انهن مرتبطات بذكاء من جذبها برشاء
ثم لم يجزموا أهنّ بنات الشمس ام جئنها من الانحاء
رشقتها النجوم من كل صوب بسهام للدفع ذات مضاء
رشقتها من الجوانب لما وجدتها تجري بغير وقاء
غير ان النضال بالسهم مما ليس يؤذي كالطعنة النجلاء
انما هذه القوى في الدراري نجمت من معامل الكيمياء
ما ارى في جواهر الجسم الاّ قوّة قد تكاثفت في البناء
وهي تنحل في العناصر بالبط ء الى قوّة بلا استثناء
قوّة في الكون استقرت واخرى ما استقرت كالجسم والكهرباء
ثم ان الشموس منحلة في سدم بعد فقدها للنماء
ليس يبني السديم شمساً كما شاع لدى زمرة من العلماء

ان ادنى توابع الشمس فيما علموهُ « عطارد » في السماء
دار اطرافها كما يلعب الخشفُ حوالي غزالة ادماء
بعدهُ « الزهرة » الجميلة تأتي نجمةً للصباح او للمساء
تسحر العين كلما قابلتنا في الليالي بوجهها الوضاء
لم يكن عند وصفها حين تبدو لا مديحي شيئاً ولا اطرائي
ثم هذي الارض التي نحن نحيا فوقها خاضعين للاهواء
ثم يأتي « المريخ » فهو لنا يبدو مضيئاً كنقطةٍ حمراء
بعدهُ تأخذ « النجيمات » يجرين دراكاً في الجو كالاقرباء
بعدها « المشتري » وهل هو الاّ ملك الزاهرات ذو الطيلاء
ثم يأتي وراءه « زحل » في حلقات عليهِ ذات ضياء

ثم فاعلم يدور في الجوّ اورا نوس » مختفيًا عن عيون الراقي
ثم « نبتون » وهو آخر ما دا ر على الشمس من بنات الفضاء
تلك سيارات يحسن على التا ر تباعاً كالبهم حول الماء
تلك اجرام ليس يبعثن نوراً غير ما يقتبسنهُ من ذكاء
ان كلاً منهن يجري من النو ر ب الى الشرق حولها في زهاء
وهو عند الدنوّ منها سريع وهو عند الابعاد ذو ابطاء
ولكل سوى القريبين اقا رٌ عليهِ تدور كالحرباء

رب سيّاحة اتت من بعيد تطلب الشمس صبة بالفناء
ذات ذيل تجرّهُ كديم خلفها او ذؤابة شهباء
فادة من غيد السماء الى من قد احبّت تمشي على استحياء
وارى اذ تمشي عليها اضطراباً أهي سكرى بخمرة صهباء
فاذا ما طافت بهِ مرّةً عادت سريعاً ادراجها للوراء
ما هو القصد والمزار بعيد يا تُرى من زيارة الحسناء

ان للشمس موكباً فيهِ تمشي نحو نجم ضمن الثريا ناء
وارى في اصطدامها بسواها وهو الزعم اكبرَ الارزاء
ان اصابت احدى التوابع ضرّا ء احسّ الجميع بالضرّاء
ما تأذى عضو من الجسم الاّ وتأذّت بقية الاعضاء
اذ دفع الاثير شدّ عراها بذكاء فظنّ جذب ذكاء
انهُ والوجود عبء ثقيلٌ قائم في الفضاء بالاعباء
ذاك ان الاثير يجري الى الشمس كامثالها من الانحاء
ولايضاحهِ اقول وقولي ليس الاّ رأياً من الآراء
حركات الالكترونات ضمن الجسم تنفي الاثير في الاثناء
فيسيل الاثير ردّاً لما اختلّ بهِ من توازن في البناء
فهو يرجو بجريهِ ما يلاقيـ ـهِ اليها من اكرةٍ او هباء
واراها من الاثير الذي يجري اليها من حولها في نماء

فهي تنمو حتى تكون شموساً ذات شمس حرارة وضياء
ولقد كانت الشموس قديماً تابعات لغيرها في السماء
ثم لما نمت كثيراً تناءت عن حماهُ فاغربت في التنائي
ولقد جئت بالحقائق اشدو وتركت الخيال للشعراء

لم تكن هذه التوابع في اسراعها او حجومها بسواء
ان بين المريخ والمشتري منها نجيمات هنّ غير بطاء
ليس في الظن ان تكون حياة فوق تلك الكواكب الاقصاء
ولقد جاءت الحياة الى الغبراء مدفوعة من الزهراء
انها مركز النظام الذي عـ ـدَّ لهُ ارضنا من الاجزاء
ادفأتنا وقد يعود اليها مالنا من سعادة وشقاء
قدحت في السماء بالزند فابيضّت من النار فحمةُ الظلماء
كم لها في اشعّة ارسلتهنّ الى الارض من يد بيضاء
حسنت في عيني وقلبي لما بزغت في غلالة صفراء
وضعت اكليلاً بهياً من النور على رأسها يدُ الكبرياء
اطلعتها قوى الطبيعة لمّا جحدوها كحجة غرّاء
كم عليها يبين من كفّ كالخال قد زان وجنة الحسناء

ربّ ليل للشهب فيه على الار ض مثال من غارة شعواء
اسبحي في السماء ايتها الار ض ولا تزعجي سماك السماء
ما سعيدٌ الاّ الذي عاش عمراً مع جيرانهِ حليفَ الولاء
وعلى خط محورك دوري مع اطواد سطحكِ الشماء
يا سماء العراق اني مريضٌ يا سماء العراق انتِ شفائي
افتحي في ستار سحبك شقة وانظريني بعينك الزرقاء

بغداد جميل زهاوي